الخطاب الإعلاميّ بين الموضوعية والتحيز:

دراسة لغوية مقارنة

د. عبدالفتاح الجبر *

E.mail: abdulfjabr@hotmail.com

* قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - كلية الآداب - جامعة البحرين

الخطاب الإعلاميّ بين الموضوعية والتحيز: دراسة لغوية مقارنة

د. عبدالفتاح الجبر

الملخص:

تتناول هذه المباحثة بالتحليل اللغوي والأسلوبي والخطابي موضوع التحيز في التقارير الإخبارية في اللغتين العربية والإنجليزية. ولبلوغ هدفه، قام الكاتب بتحليل ستة تقارير إخباريّة، ثلاثة في كل لغة، وحرص أن تكون التقارير في كل لغة تناقش حدثا إخباريًا واحدا وذلك لضبط تأثير المتغير المرتبط بالموضوع. وخلص الباحث إلى أن التحيز في التقارير الإخبارية يبدو أنّه ظاهرة عالمية، وذلك في ضوء التشابه الكبير بين التقارير في اللغتين العربية والإنجليزية التي تم تحليلها في هذه الداسة. ففي اللغتين يلجأ كاتب أو محرر التقرير الإخباري إلى استخدام أساليب لغوية وخطابية تظهر التحيز في نقل الخبر. ودعا الباحث في ضوء نتائج دراسته إلى أهمية تدريس النصوص الصحفية لطلاب الإعلام واللغات حتى يتمكنوا من قراءة وفهم (ما بين وما بعد أسطر) ليتعرفوا على الأساليب والاستراتيجيات اللغوية والخطابية التي تمكنهم بالتالي من معرفة ثقافة الآخر وآيدولوجيّته.

مصطلحات أساسية: الموضوعية، التحيز، الخطاب الإعلاميّ، تقارير إخبارية.

A Comparative Linguistic Study of Objeetivity and Prejudice in Media Disecourse

Dr. Abdulfattah Aljaber

Abstract:

This article attempts to investigate bias in Arabic and English newspaper reports. To this end, six news reports, three in each language, were analyzed with an eye to ascertaining the linguistic, stylistic and discoursal features authors employ to express bias in this genre. To control the topic variable, the three reports in each language are about the same event (i.e. topic). It was found that bias in news reporting is a universal issue and authors in the two languages involved utilize similar linguistic, stylistic and discoursal tools in realizing it. The article concludes with emphasizing the importance of teaching media and language students newspaper texts so they can lean how to read (between and 'beyond' the lines) and eventually detect bias in this genre so they can understand the linguistic and socio-cultural differences in this respect.

Keywords: objectivity, prejudice, media discourse, news report.

توطئة:

ما من شك أن للخطاب الإعلاميّ بوسائله المقروءة والمرئية والمسموعة تأثيرا كبيرا وخطيرا في تشكيل الوعي الفردي والجمعي، فهو ليس وسيلة لرصد ونقل ما يستجد من أحداث فقط، بل هو أيضا وسيلة إقناع بوجهة نظر من يرصد تلك الأحداث أو يحللها. ويتجلى تفاعلنا مع ذلك الخطاب في الصحيفة التي دأبنا على قراءتها، أو البرنامج الإذاعي الذي نستمع له أو القناة التلفزيونية التي نشاهدها. ولا يأتي اختيارنا هذا من فراغ، بل يستند عادة إلى اختيار ما يتفق مع آرائنا، والابتعاد عما يتناقض معها. وغالبًا ما تظهر آراؤنا وآيدولوجياتنا إما تصريحا أو تلميحا عبر خطابنا اليومي في البيت والعمل والمنتديات والأماكن العامة، إلخ. ونظرا لاختلاف وجهات نظرنا حول قضايا الوطن أو العالم وحول الأحداث اليومية أصبح من الشائع تصنيف أنماط الخطاب المختلفة التي تخصنا وتخص الآخر ونعته بأوصاف معينة، فهناك الخطاب الليبرالي، أو المحافظ، أو التقدمي، أو الرجعي، أو الإرهابي، أو المتشدد، أو الظّلامي، وآخر ما استجد في هذه السلسلة، الخطاب الخشبي!

ويتعدى تأثير الخطاب الإعلاميّ علاقاتنا داخل البيت الواحد والمجتمع الواحد إلى تحديد نوعية وشكل علاقاتنا مع الآخر. والنتيجة عادة ما تكون تصنيف الآخرين حسب الاتفاق أو الاختلاف في الرأي والآيدولوجيا إلى معسكر الأصدقاء أو الأعداء. ويفترض في الخطاب الإعلاميّ أن يكون واقعيا، ودقيقا وموضوعيا بعيدا عن التحيز والتلفيق والكذب حتى يساعد على التطوير لا التدمير والبناء وليس الفناء. لكن واقع الحال يشي بغير ذلك في كثير من الأحيان!

تهدف هذه المقالة البحثية إلى إلقاء بعض الضوء على مدى الموضوعية أو التحيز في الخطاب الإعلاميّ وذلك بتحليل بعض النماذج من التقارير الإخبارية في اللغتين العربية والإنجليزية للتعرف على الأساليب والاستراتيجيات الخطابية التي يستخدمها محررو تلك التقارير من أجل بلوغ أغراضهم الخاصة!. وحتى تكون الدراسة علمية منهجية لا بد وأن تنطلق من إطار نظري يحدد المفاهيم وأدوات البحث وأساليب التحليل ورصد كل ذلك في دراسات علمية سابقة. لذا، سنعرض بداية لمفهوم الخطاب بشكل عام والخطاب الإعلاميّ بشكل خاص ومن ثم نأتي على تحليل بعض التقارير الإخبارية في اللغتين العربية والإنجليزية حتى تكون تعميماتنا، إن وجدت، مبينة على أسس منهجية وليست ملاحظات شخصية. وأخيرا سنورد بعض الاستنتاجات في ضوء نتائج التحليل التي تتعلق بأهمية تعليم طلابنا كيفية قراءة النص الإعلاميّ وسبر غوره لفهم المعاني التي أرادها الكاتب، وأهمية النصوص الصحفية في التعرف على سمات أنماط النصوص المختلفة التي تحتويها، الأمر الذي ربما يسهم في توسيع مداركهم حول ماهية الخطاب، وكيفية صياغته وهذا أمر هام في عملية التواصل مع الآخر في سياقات اجتماعية-ثقافية مختلفة.

حول مفهوم الخطاب:

إن لمصطلح الخطاب معان تتنوع بتنوع اهتمامات أصحابها. فالخطاب بالنسبة إلى عالم اللغة الذي

يهتم بالنص المكتوب يعني اللغة ما بعد حدود الجملة (Stubbs 1983)، وهو بذلك مفهوم دلالي يتمثل بعلاقات تربط جمل النص بعضها ببعض بواسطة أدوات ربط لغوية cohesive devices Halliday and Hasan 1976) حتى تكون معا وحدة لغوية متكاملة هي ما يعرف بالنص text. ومصطلح النص هذا يطلقه البعض على اللغة المكتوبة فقط، بينما يطلقون مصطلح الخطاب discourse على النصوص المحكية (de Beaugrande 1980). ويذهب البعض إلى أن دراسة الخطاب تعود إلى دراسة أي وجه من أوجه استخدام اللغة language in use (Fasold 1990) وهكذا يأخذ معنى الخطاب بعدا براغماتيا. ويعزز براون ويول (Brown and Yule 1983) هذا البعد عندما يقولان إن تحليل الخطاب لا يمكن أن يتحدد بوصف العناصر اللغوية بمعزل عن الأغراض أو الوظائف التي تخدمها تلك العناصر في حياتنا.

ويوسع البعض مفهوم الخطاب ليتعدى النظام اللغوي كنظام سيميائي ليشمل اللغة كأداة اتصال والتي يشكل الخطاب أداة التعبير عنها (Benveniste 1977، cited in Mills 1997:4-5). وبهذا المفهوم يشمل الخطاب كل ما يصدر عنا من عبارات وجمل يمكن أن تكون نصا متكاملا، وكذلك الممارسات اللغوية المنظّمة التي تنتج تلك العبارات والجمل التي يتيح لنا النص المكتوب التعرف عليها (Foucalt 1984). ويقوم "فاولر" (Fowler 1991) بتفكيك فكرة الأدب حتى يمكن التعرف على أنماط الخطاب المتعددة الذي يستخدمه أبناء اللغة عبر انخراطهم الواعي في الأيدولوجيا والتجربة والمنظومة الاجتماعية. إذا يعتقد فاولر أن مفهوم الخطاب يتعدى حدود الاستخدام اللغوي إلى اعتبار ذلك الاستخدام سواء أكان محكيا أم مكتوبا نوعا من الممارسة الاجتماعية. ومن هذا المنظور يفرق «فيركلو» (Fairclough 1992) بين ثلاثة أبعاد لهذا المعنى الاجتماعي، وهي: المعرفة، والعلاقات الاجتماعية والهوية الاجتماعية وهذه تعكس ثلاثة وظائف للغة. ويتأثر الخطاب بعلاقات القوة بين المتخاطبين power relations ويعكس آيدولوجياتهم. ويعتقد "لي": (Lee 1992) أن مفهوم الخطاب يستخدم ليشمل عددًا من الظواهر والممارسات تمتد من ظاهرة الخطاب الجنسي إلى أساليب التخاطب التي يمكن تمييزها بسهولة في نصوص محددة لكن من الصعب وصفها بمصطلحات عامة (مثل الخطاب التنافسي، والخطاب التعاضدي، الخ). وأخيرا، يعود مفهوم الخطاب بالنسبة إلى "كاندلين" (Candlin 1997) إلى استخدامات اللغة كعملية اجتماعية، وكذلك إلى الدور البناء للخطاب المحكي أو المكتوب في تكوين البنى المعرفية والممارسات الاجتماعية المتصلة بها. ومن هنا، يعتبر الخطاب وسيلة التخاطب حول ما يجري في العالم الخارجي، وسيلة تشكل وتتشكل من قبل مجموعة الممارسات الاجتماعية الموجودة في ذلك العالم، الأمر الذي يؤدي إلى إعادة صياغة تلك الممارسات الاجتماعية التي يحددها التكوين الاجتماعي العام.

يظهر من هذا العرض المقتضب أن هناك من يفرق بين النصوص المحكية والمكتوبة، لكن هذا لا يتطبق على الخطاب الإعلاميّ. فالنص المحكي يتطلب مستمعا يتابع ويؤثر في سير خطاب المتحدث

وهذا غير متوافر في الخطاب الإعلاميّ المكتوب (Bell 1992)، فالمتلقي بعيد وليس له ذلك التأثير في علمية التخاطب. وما دامت المعاني هي نتاج التفاعل بين مستمعين ومتحدثين أو قراء ونصوص، فإن النص المكتوب يكتسب بعدا يفوق عملية التفاعل بين الكاتب والقارئ. هنا تأتي أهمية التفريق بين النص text والخطاب discourse. فالنص هو الإطار الخارجي للحدث التواصلي، بينما يشمل الخطاب أبعادا، لايعدو البعد اللغوي الا أن يكون أحد مكوناتها. من أهم هذه الأبعاد هو سياق الحدث الخطابي (مكان وزمان الحدث والمتحاورين وعلاقاتهم، والسياق الاجتماعي الذي تحدث فيه عملية التواصل، وأدة التواصل، وأنماط الخطاب الناتجه عن الحدث وعلاقات هذه الأنماط بعضها ببعض، الخ). وعليه فإن تحليل الخطاب الإعلاميّ يجب أن يشكل بالإضافة إلى النص المكتوب، الحديث المحكي، والموسيقى، والتأثيرات الصوتية، والصورة، إلخ. وهناك من يضيف شكل (تصميم) الصفحة كجزء مؤثر في النص كأداة تواصل (Kress and Hodge 1979)، رغم أن الشكل النهائي للخبر يتحدد أثناء عملية الاختيار والتحرير.

لقد استقطب الخطاب الإعلاميّ اهتمام علماء اللغة والاتصال communication وكذلك أؤلئك الذين يعملون في حقل الدراسات الإعلاميّة. ويعزو "بل" (Bell 2001) هذا الاهتمام إلى أربعة أسباب رئيسة. أولها، أن الإعلام مجال ثري بالبيانات والمعلومات الجاهزة للبحث والدراسة. ثانيا، أن للإعلام تأثيرًا كبيرًا على مواقف الناس تجاه اللغة المستخدمة. ثالثًا، يؤثر الإعلام في تعريفنا بالمعاني الاجتماعية والاستراتيجيات المستخدمة أثناء عملية التواصل، ولهذا تأثير كبير في تعلم لغة أجنبية. وأخيرا، يعكس الإعلام الثقافة والسياسة والحياة الاجتماعية للمجتمعات المختلفة. لهذه الأسباب وغيرها، وجدت دراسات معمقة للخطاب الإعلاميّ تناولته من زوايا متعددة (أنظر Cheshire and Moser 1994; Robinson and Skill 1995; Coupland 1985; Fowler et al 1979; Kress and Hodge 1979; van Dijk 1991) وغيرهم. وتكاد تكون دراسات عالم اللغة الهولندي "فان دايك" (van Dijk 2001) من أبرز الدراسات التي شخصت الخطاب الإعلاميّ ووضعته في إطار نظري فكري اجتماعي وسياسي يعكس أراء وآيدلوجيا ومواقف المتحدث الشخصية أو المجتمع الذي ينتمي اليه. ويفرق "فان دايك" بين نوعين من الآراء في الخطاب الإعلاميّ: الآراء الواقعية factual وهي التي تتناول حقائق ووصفا لأحداث وقعت بالفعل، والآراء التقييمية evaluative التي تعكس رأي صاحبها حول قضية ما. وهذا ما قصدناه في العنوان، فالنوع الأول من الآراء وسمناه ب "الموضوعية" والثاني ب "الشخصنة". ويكثر هذان النوعان بشكل أبرز في «كلمة التحرير/ كلمة العدد» editorial التي تعكس وجهة نظر أصحاب الصحيفة، وفي المقالات التي يناقش فيها كتابها قضايا سياسية أو اجتماعية، أو اقتصادية أو ثقافية، الخ feature articles محلية كانت أو إقليمية أو عالمية. وتختلف هذه المقالات في الخطاب الذي تتبعه وفق موقف الصحيفة نفسها ونوعها. ومما لا شك فيه أن آيدولوجيات الكاتب تؤثر في نوعية خطابه وبنيته، وهذا ما سنوليه اهتماما

أكبر في تحليل بعض نماذج الخطاب الإعلاميّ فيما يلي.

فمن ناحية، فإن الآراء والايدولوجيا تتضمن المعتقدات أو التصورات الذهنية الشخصية للأحداث، ومن ناحية أخرى، فإن الآراء والايدولوجيا الواردة في الصحف ليست بالضرورة شخصية بل اجتماعية وسياسية، الأمر الذي يتطلب وصفا لها ولبنيتها الاجتماعية. هذا ما يشكل ما يعرف بنظرية الإدراك الاجتماعي socio-cognitive theory التي تتعلق بالتصورات الاجتماعية المشتركة لأفراد مجمتع ما والتي تحدد أساليب اكتسابهم واستخدامهم لتلك الآيدولوجيا في سياقات اجتماعية مختلفة. وهذا الطرح هو جزء من أطر تحليل الخطاب لكونه يهتم بفحص التعابير اللغوية والايدولوجيات التي أنتجتها. وهكذا فإن الايدولوجيا ظاهرة بالغة التعقيد مثلها مثل اللغة والمعرفة.

للأيدولوجيا ثلاثة مكونات، حسب «فان دايك». الأولى الوظيفة الاجتماعية المتعلقة بتفسير الأسباب التي تجعل الناس يطورون ويستخدمون الآيدولوجيا في المقام الأول: والثانية، البنى الذهنية المتعلقة بالطبيعة العقلية والمكونات الداخلية وبنى الايدولوجيا وعلاقاتها ببنى ذهنية أو تصورات اجتماعية أخرى، والتي يمكن أن تشمل القيم والمعايير الاجتماعية المشتركة والمواقف والآراء والمعرفة والأنماط الشخصية والسياقية (مثل التجربة، والنوايا والخطط، الخ). والمكون الثالث للآيدولوجيا هو التعبير اللغوي عن تلك الآيدولوجيا في الخطاب المحكي أو المكتوب.

أما بالنسبة إلى الوظيفة الاجتماعية للآيدولوجيا فهي تقوم بتنسيق الممارسات الاجتماعية لمجموعة من الأفرد والدفاع عن مصالحهم. ويتم تطوير بعض الايدولوجيات لتظل مستدامة وتكتسب صفة الشرعية ويعتمد عليها في الفصل في المنازعات ما بين الجماعات المختلفة وكذلك في علاقات السيطرة ومراكز النفوذ. وحتى يتأتي للآيدولوجيا أن تؤدي هذه الوظيفة الاجتماعية يجب أن يكون مكونها الذهني، وبناها واستراتيجياتها موائمة لتلك الوظائف الاجتماعية التي يفترض أن تؤديها. كما أن الممارسات الاجتماعية لأفراد المجتمع الواحد تعكس تفكيرهم والعكس صحيح.

أما السؤال حول شكل الآيدولوجيا فلا إجابة محددة له لحد الآن. لكن حسب تخمين «فان دايك»، فإن كما كبيرا من آيدولوجيا جماعة من الناس تتضمن تصوراتهم عن أنفسهم وعن الآخر، أي «نحن وهم». وعادة ما تكون الصورة عن أنفسنا إيجابية positive self-presentation أما عن الآخر فهي سلبية negative other-presentation، مثل ذلك آيدولوجيا التمييز ضد الأقليّات في بعض المجتمعات؛ فنحن الأخيار وهم الأشرار. ويحدث ذلك بشكل خاص عند تشابك أو تعارض المصالح. لهذا كثيرًا ما تكون تلك الآيدولوجيات متحيزة من منظور لآخر. أما بالنسبة إلى الصحافيين كأفراد مجموعة محددة، فإن تلك الآيدولوجيات تظهر ماهية عملهم (كتاب أخبار أو كلمات تحرير) وأهدافهم (تزويد معلومات أو العمل كرقيب على المجتمع) وقيمهم ومكانتهم لدى القراء أو السلطات ومصادر معلوماتهم، ذلك لأن كل التصورات التي يمكن استنباطها من الخطاب

وممارسات اجتماعية أخرى هي تصورات اجتماعية مشتركة. وفي المقابل، فإن الاستخدامات الفردية للآيدولوجيا في مواقف حقيقية يمكن أن تكون نسبية وغالبا ما تكون متعارضة.

يمكن التعبير عن الآيدولوجيا الجمعية وكذلك مواقف مجموعات محددة من الناس مباشرة في الخطاب بتعابير تعكس آراء عامة، كما في القول «النساء أقل كفاءة من الرجال» الرأي الذي يعبر الخطاب الشوفيني الذكوري. لكن معظم الخطاب الإعلاميّ الذي يعكس مثل هذه الآراء يعكس آراء جمعية وفردية حول أناس أو أحداث محددة مثل القول «إنني لا أؤيد هذا الغزو»، وتصبح مثل هذه الآراء نماذج تعبر عن خبرات الناس التي تظهر في ملاحظاتهم أو اشتراكهم في الأحداث أو الخطاب نفسه، وهي بذلك آراء شخصية مبنية على الموقف وتظهر معارف الأفراد وأنماط تفكيرهم حول أحداث أو مواقف محددة وتعكس الحقيقة التي مفادها أن هذه الآراء تفسر بطريقة شخصية. وهذا يبين أن تلك النماذج توضح لماذا تكون تفسيرات الخطاب بناءة. فالناس عادة يكون لديهم نماذج ذهنية عن أحداث حياتهم اليومية ومن ضمنها الأخبار الصحفية التي يقرؤونها، وأثناء عملية القراءة يتم تفعيل تلك النماذج السابقة بينما يتم تشكيل نماذج ذهنية أخرى حول النوايا والخطط والتهديدات والتصريحات لأحداث مستقبلية. أي أن ممارستنا الاجتماعية تضبط أو تفسّر وفق أنماط ذهنية موجودة أصلا لدينا.

الحيادية والتحيز في الخطاب الإعلاميّ:

من المفروض أن يتسم الخطاب الإعلاميّ بالموضوعية والدقة، لكن هل الأمر دائما كذلك؟ هناك شبه إجماع على أن من سمات الخطاب الإعلاميّ العامة التحيز الواضح حيث إن البعض يذهب إلى الاعتقاد ان الخطاب الإعلاميّ الموضوعي لا وجود له (Rhetorica). وهذا أمر لا يخص صحافيين معينين أو صحف معينة، بل ويطال كبرى المؤسسات الإعلاميّة أحيانا. ففي مقال بعنوان "تقرير ال BBC يدين ثقافة التحيز لديها" يقول بروكس وجاظر (Brook and Gadher) أن محطة ال BBC هي في الأساس متحيزة بالنسبة إلى أمور عديدة مثل "التغير المناخي، والفقر، والعرق والدين"؛ حقيقة أثبتتها نتائج بحث استمر لمدة سنة كاملة بتكليف من المحطة نفسها. ويقول الباحثان إن هذا التحيز طال ليس التقارير الإخبارية فحسب بل والمسلسلات الدرامية وعروض الترفيه أيضا، ويخدم هذا التحيز أجندة سياسية. إن عملية الاتصال الإنساني تحدث دائما ضمن سياق، وعبر أداة ما وبين أفراد وجماعات لهم خلفيات تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية متباينة، وعليه تكون مفردة "تحيز" تعبيرا عن التأثيرات الجمعية لمكونات السياق الذي يصدر فيه. ورجال السياسة متحيزون كونهم ينتمون لأحزاب أو جماعات ويتبنون سياسيات وآيدولوجيات معينه. ورغم اعتقادهم بأن آيدولوجياتهم الفردية هي منطقية. إلّا أنهم يدركون أنهم يتحدثون من منطلق مراكزهم السياسية. والصحفيون كذلك يتحدثون من مراكز سياسية لكن ليس بنفس الدرجة من الوضوح(ibid). إن

لمعتقدات الصحافي المتعلقة بالموضوعية والنزاهة تأثيرا كبيرا في مهنته لكن الموضوعية الصحفية ليست موضوعية فلسفية، ويحاول الصحفي أن يكون موضوعيا بطريقتين: 1 - أن يكون منصفا تجاه من يدور حولهم الخبر، 2) جمع المعلومات بطريقة تتحرى الإنصاف والدقة والشمولية. لكن هذه المعايير الأخلاقية لا يمكن دائما تحقيقها. ويلجأ كتاب ومحررو التقارير الصحفية إلى استراتيجيات عديدة للتعبير عن التحيز، والتي إن تعرف عليها القارئ أمكنه كشف ذلك التحيز. من تلك الوسائل: 1 - الاختيار والحذف، بأن يقوم المحرر باستخدام أو عدم استخدام خبر ما. فيمكن من خلال وصف حدث ما تجاهل بعض التفاصيل أو إعطاء القارئ رأيا مختلفا حول الحدث، ويحدث الأمر نفسه أثناء الحديث فعندما يظهر الناس استهجانهم لأمر ما، فأما أن يوصف ذلك الاستهجان على أنه «ملاحظات قوبلت بالاستهزاء» أو يتم تحاشي الأمر برمته لأنهم «مجموعة من المنشقين» (Media Awareness Network). والتحيز من خلال الحذف صعب الاكتشاف إلا عن طريق مقارنة مصادر مختلفة. 2 - مكان نشر التقرير، حيث عادة ما تنشر الأخبار الساخنة وبالتالي الأكثر أهمية في الصفحة الأولى، والأقل أهمية في الصفحات الأخرى، فيحدث من قبيل التحيز نشر خبر هام في غير مكانه المتوقع. 3) التحيز في العنوان. كثير من الناس لا يقرؤون سوى عناوين الأخبار والتي يمكن أن تلخص التحيز المستتر وخلق الإثارة حيث لا يوجد داع لها. يمكن للصحفي أن يظهر موافقته أو إدانته من خلال عنوان خبره. 4 - التحيز عبر الصورة والتعليق وزاوية التقاط الصورة. فالصورة إما أن تجمل الشخص أو تقبحه، وعليه تستطيع الصحيفة اختيار صور تؤثر في آراء الناس لمرشح للانتخابات، مثلا. وكذلك يفعل التعليق المرافق للصورة. 5 - التحيز باستخدام أسماء وألقاب للأشخاص أو الأماكن أو الأحداث. فيمكن وصف إنسان أنه "مناضل من أجل الحرية" أو "إرهابي". 6 - التحيز باستخدام الإحصائيات واستطلاعات الرأي حيث يمكن جعل حدث كارثي أكثر جذبا لاهتمام القارئ، يمكن تضخيم الأرقام، كما في القول "مائة جريح في حادث تحطم الطائرة". أخيرا 7 - التحيز بواسطة مصدر الخبر، ولكشف هذا النوع من التحيز على القارئ أن يتحقق فيما اذا كان كاتب التقرير شاهد عيان أو وكالة أنباء، أو مصدرًا أمنيًا أو أحد المسؤولين، إلخ. فلربما كان بعضهم متحيزا بطريقة ما. وكثيرا ما تعتمد مصادر الأخبار على أحداث ليست واقعية مثل "قص شريط، مظاهرات، كلمات احتفائية، الخ" والتي تحدث أحيانا لمجرد الحصول على تغطية إخبارية.

وعادة ما يتبع كاتب التقرير أو المقالة استراتيجيات يحاول من خلالها إخفاء تحيزه وبالتالي تحيز صحيفته. من أهمها تلك الاستراتيجيات الثنائية التي تستخدم في التعبير عن الآراء الجمعية والتي تظهر في عبارات النص وأساليبه البيانية وبنيته "فان دايك van Dijk". وتتمثل هذه الثنائية في:

- تسليط الضوء على صفات المتحدث الجيدة مقابل إبراز صفات الآخر السيئة.
- تلطيف/ تخفيف صفات المتحدث السيئة مقابل

التقليل من صفات الآخر الايجابية.

ليس بالضرورة أن يتم التعبير عن الآراء صراحة بل يمكن أن تفهم من ضمن السياق. كما يمكن أن يكون لجملة معينة أكثر من تفسير وهذا يتوقف على نموذج الحدث أو سياق الموقف الموصوف. هذا مثل على ذلك:

في كلمة التحرير حول طرد 400 من أعضاء حماس من فلسطين تورد صحيفة النيويورك تايمز New York Times ما يلي:

(1) يجادل المدافعون عن إسرائيل، ومعهم الحق في ذلك، أن العالم يولي اهتماما قليلا بالجرائم الإرهابية التي يقوم بها المسلمون المتطرفون، وتصميمهم المتشدد على قطع الطريق على أية تسوية سلمية بين إسرائيل والعرب. (نيويورك تايمز، عدد يوم 29 يناير 1993). (ترجمة الباحث)

يظهر هذا الجزء من كلمة التحرير، أن صحيفة نيويورك تايمز تتبنى وجهة نظر المدافعين عن إسرائيل، ليس هذا فقط فهي أيضا تؤيد ما يمكن أن يستشف من ذلك الجدل بقولها إن "المسلمين المتطرفين" يرتكبون جرائم إرهابية ويحولون دون التوصل إلى تسوية سلمية. ان صياغة ذلك الافتراض مسؤولية الصحيفة وبالتالي فإن الآراء التي تعكسها بعض التعابير اللغوية مثل "الجرائم الإرهابية، المتطرفون، التصميم المتشدد" هي آراء الصحيفة أيضًا. ويلاحظ أن الخبر لا يحتوى على مثل هذه العبارات عند الحديث عن طرد إسرائيل ل 400 فلسطيني. على العكس من ذلك، تدعى المقالة صراحة أن هذا "الخرق" لا يجب أن يبالغ فيه. في بداية المقالة توصف عملية الطرد على أنها "خطأ" وليس كجريمة إرهابيّة من قبل إسرائيل. وهكذا نرى أن الآراء حول الأصدقاء والأعداء توصف ولها عادة إيحاءات وافتراضات تنبع من نماذج أيدولوجية.

تحليل الخطاب الإعلاميّ

ستركز هذه الدراسة، كما أسلفنا، على التقرير الإخباري كأحد أنماط النصوص الصحفية التي تستقطب أكبر عدد من القراء وبذلك يكون لها تأثير كبير في تشكيل وعيهم السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، إلخ. فيما يلي تحليل لثلاث تقارير ظهرت في ثلاث صحف بريطانية حول نفس الحدث «زيارة الرئيس الصيني لبريطانيا»، وثلاث تقارير ظهرت في ثلاث صحف عربية حول نفس الحدث «أحداث غزة في أعقاب احتفالات فتح بذكرى الرئيس ياسر عرفات الثالثة». وهذا الاختيار مقصود من قبل الباحث حيث يمكّن القارئ من تصنيف التقارير وفق موضوعيتها ودقتها أو تحيزها وشخصنة وصفها للحدث حتى يعكس رأي وآيدولوجيا كتابها أو الصحف التي ظهرت فيها.

التقرير الإخباري News report/ News story

بنية التقرير الإخباري

تظهر التقارير الإخبارية الساخنة عادة في الصفحة الأولى للصحيفة، كما تظهر التقارير الأقل سخونة في أقسام وصفحات أخرى من الصحيفة. وتتكون بنية التقرير من «العنوان» headline الذي يشرح بمفردات قليلة الخبر الذي ينقله التقرير، ويحاول جذب اهتمام القارئ باستخدام وسائل بصرية مثل حجم ونوع ولون الخط، ومكان العنوان

(في الوسط أو قرب الهامش). يلى العنوان اسم كاتب التقرير والذي يدعى بالإنجليزية byline لأنه يبدأ دائما بكلمة by. لكن بعض الصحف تطبع اسم الكاتب بخط داكن فوق بداية التقرير مباشرة. ويأتي بعد اسم كاتب التقرير يدعى dateline الذي يعرف مكان ووقت كتابة التقرير. فمثلا ان كان للصحيفة مراسلٌ في القاهرة يظهر اسم المدينة بخط داكن أحيانا. من ثم يبدأ التقرير، بما يسمى الجملة الافتتاحية/الفقرة lead sentence/paragraph وهذه جملة أو فقرة شاملة تجيب عادة عن أسئلة مثل: ماذا/ من، متى، أين، لماذا، إلخ. يلي هذه الجملة/ الفقرة فقرات قصيرة تورد كل منها تفصيلا لأحد جوانب الحدث. كما يشيع في التقارير الإخبارية استخدام الكلام المباشر الذي ساقه شاهد عيان أو أحد المسؤولين، إلخ.

ورغم تشابه التقارير الإخبارية في اللغة الواحدة وفي العديد من اللغات في بنيتها العامية، إلا أنها تختلف في الصياغة والأساليب اللغوية التي تستخدمها في كتابة التقرير الإخباري حتى في اللغة الواحدة. هذا مثال من اللغة الإنجليزية. يجب التنويه أن التقارير التالية في اللغتين قد تم نقلهما بدقة متناهية كما ظهرت في مصادرها، وعليه فإن وجود أية أخطاء فهي مسؤولية الصحيفة نفسها.

Text 1

RIFLES RAISED BY GUARDSMEN TO STOP RIOT OVER HATED PRESIDENT

Queen's China crisis as coach is charged

Bayonet fixed and rifle raised. a soldier comes to the rescue of his Queen yesterday. The trooper went into action when human rights protesters charged at her carriage as she traveled towards Buckingham Palace with the Chinese president.

"ببنادق على أهبة الاستعداد، الحرس الملكي يوقف أعمال الشغب ضد الرئيس المكروه

أزمة صينية للملكة إثر مهاجمة العربة الملكية:

بسنجة مثبتة برأس بندقيته، يتقدم جندي لنجدة مليكته بالأمس. أقدم الجندي على ذلك عندما قام متظاهرون من منظمة حقوق الإنسان بمهاجمة العربة الملكية عندما كانت الملكة في طريقها إلى قصر بيكنجهام بصحبة الرئيس الصيني." (ترجمة الباحث)

Text 2

Anti-China protests brushed aside

The first Chinese state visit in British history began yesterday with a lone, Tianmen Square-style attempt to disturb the royal procession in the Mall and muted protests elsewhere.

As the Queen and President Jiang Zemin traveled to Buckingham Palace, a 34 year-old-man jumped over the barriers and attempted to unfurl the Tibetan flag in front of the coach.

"تهدئة الاحتجاجات المعادية للصين بدأت بالأمس الزيارة الصينية الرسمية الأولى في تاريخ بريطانيا بمحاولة عابرة بالاسلوب التايواني لتعكير

صفو الموكب الملكي بينما كان في السوق التجاري والاحتجاجات الصامتة في أماكن أخرى.

فبينما كانت الملكة والرئيس الصيني «جيان زامن» في طريقهما إلى قصر بيكنجهام، قفز رجل في الرابعة والثلاثين من عمره فوق الحواجز وحاول التلويح بعلم اقليم التيبت أمام العربة التي كانا يستقلانها.» (ترجمة الباحث)

Text 3

Leader of the unfree world is feted by the Queen as protesters arrested

Ceremonially speaking, President Jiang Zemin, the first Chinese head of state to visit Britain, was yesterday given the full monty.

A public greeting from the Queen was followed by an inspection of the guard and a carriage trip down the Mall, with Union Jacks and red flags fluttering harmoniously in the breeze.

"قائد العالم غير الحرّ يحظى بترحيب الملكة، والمحتجون يعتقلون

من منظور احتفالي، حظي بالأمس الرئيس جيان زامن، أول رئيس صيني يزور بريطانيا رسميا، بأقصى قدر من الترجيب.

بعد تحية من الملكة واستعراض لحرس الشرف، توجهت العربة الملكية إلى السوق التجاري، بينما كانت أعلام المملكة المتحدة والأعلام الحمراء ترفرف بتناغم مع هبات النسيم." (ترجمة الباحث)

وفق الإطار النظري أعلاه، نجد في التقارير الثلاثة تباينا واضحا في وصف الحدث نفسه. ويتجلى هذا التباين بطريقة عرض الخبر وصياغته اللغوية والأسلوبية. بادئ ذي بدء، هناك اختلاف في عرض عنوان الحدث من الناحية البصرية. فبينما نجد أن عنوان التقرير الأول يظهر بحروف كبيرة وبحجم كبير، تظهر عناوين التقريرين الثاني والثالي بحروف صغيرة (عدا الكلمة الأولى التي يجب أن تبدأ بحرف كبير في الإنجليزية) وبحجم أصغر.

وكما قلنا آنفا، تكمن أهمية العنوان في كونه تلخيصا لمجمل الحدث الذي يمكن أن يدفع القارئ الاكتفاء به دون قراءة باقي التقرير أو أن يحفزّه إلى معرفة المزيد من التفاصيل. فمثلا نجد أن عنوان التقرير الأول يحاول جذب اهتمام القارئ بشكل أكبر من عنواني التقريرين الآخرين بطريقة عرض ملفتة. لكن سرعان ما يعرف سر هذا الاهتمام الذي يخلو من البراءة، فهو ليس اهتمام المرحب بالزيارة، ولكنه اهتمام المحتج عليها. نستدل على ذلك من المفردات التي يستخدمها في عنوان تقريره، مثل «شغب» و«الرئيس المكروه». تعبر هذه المفردات صراحة عن رأي الكاتب الذي لا يرحب بهذه الزيارة رغم أنها زيارة تاريخية لرئيس دولة عظمى. ويعزز الكاتب هذا الموقف باتباع اسلوب التقديم، حيث يقدم كلمة «البنادق» بينما أخّر الفاعل «الحرس» والغرض من رفع البنادق. وهكذا تصبح مفردة «البنادق» بؤرة تركيز العنوان الذي يقصد به جعل القارئ يتبنى موقف الكاتب نفسه. ويفرد الكاتب فقرة كاملة لتعريف القارئ سبب رفع البنادق وأعمال الشغب، حيث يجعل الزيارة قد سببت «أزمة» للملكة بعد

مهاجمة عربتها. وباستخدام الكاتب لعبارة «سنجات مثبتة بالبنادق» وتقديمها في الفقرة الثانية، يبدو الكاتب وكأنه يحضر لوصف معركة أو ساحة قتال مع أن ما حدث يبدو مألوفا للقارئ الإنجليزي الذي اعتاد مثل تلك الاحتجاجات على أشياء أقل أهمية من زيارة تاريخية. كما أن استخدام مفردة «إنقاذ» تعطي الانطباع وكأن خطبا فادحا حدث للملكة، وهذا نوع من التهويل المعتاد في لغة الصحافة. وانظر كيف يستخدم الكاتب كلمة «جندي» بدل «حارس» حتى يقوي الشعور بأن الكاتب يصف الحدث وكأنه معركة حربية. يظهر هذا التحليل أن الكاتب قد استخدم العبارات والأساليب التي تصف شعوره ورأيه الشخصي المتحيز علنا، وتشي بغرضه الخطابي (تحيزه ضد الزيارة بشكل صريح ومباشر).

أما كاتب النص الثاني فهو، على سبيل المقارنة، يبدو موضوعيا في وصفه للحدث. فيصف التعامل مع الاحتجاجات بعبارة «تهدئة» وليس قمع أو إخماد، كما جرت العادة عند وصف أعمال شغب مدمرة. ويقدم في عنوان تقريره شبه الجملة الاسمية «الاحتجاجات المعادية للصين» ويؤخر العبارة الفعلية «يتم تهدئتها»، أي أنه يوليها اهتماما أقل من سابقتها. ونظرا لأن الاحتجاجات أمر مألوف للقارئ الإنجليزي، فإن التقديم هنا يحاول أن يزيل أي شعور لدى القارئ بأنه بصدد قراءة تقرير حول حادث خطير. كما أن الكاتب يضع الزيارة في مقدمة الفقرة التالية لتكون في بؤرة تركيز القارئ، بدل الحدث نفسه الذي يصفه بعبارة «عابر»، ولكي يذكر القارئ أن مثل تلك الأحداث ليست بالمستغربة في حالات مشابهة. ولاحظ عبارات «تعكير صفو» و«احتجاجات صامته» التي تؤكد أن ما حدث لا يعدو كونه أمرا عابرا غير ذي بال. ويظهر احترام الكاتب للزيارة باستخدمه عبارة «الموكب الملكي». ويكمل الكاتب وصفه الحادثة بعبارات محايدة تعبر عن حقيقة ما جرى دونما تدخل شخصي من قبله، وذروة ذلك في وصفه ما حدث بأنه مجرد محاولة لعرض علم إقليم التبت أمام العربة الملكية، الأمر الذي يبدو معتادا في مثل تلك الزيارة.

وكما هو الحال في التقرير الأول، يظهر التقرير الثالث شعور وموقف كاتبه الشخصي تجاه الرئيس الصيني وزيارته باستخدامه بعض العبارات، مثل عبارة «قائد العالم غير الحرّ» في عنوان التقرير. ويظهر تهكمه من خلال عبارة «حظي بالترحاب» التي يقدمها على العبارة الثانية التي تبدو متناقضة معها وهي «اعتقال المحتجين». ويتعمق تهكم الكاتب مع بداية الفقرة الأولي التي تتصدرها عبارة «منظور احتفالي» وبعبارة «حظي بترحاب كبير» التي تختم الفقرة، وهي عبارة تهكمية لأنها تستخدم احتجاجا على المبالغة في الترحاب. وللعلم، فإن مفردة monty لفظة عامية استخدمها الكاتب هنا عمدا حتى يبدو أكثر ودية تجاه القارئ وهذه استراتيجية تستخدم لخطب ود القارئ لكسب تعاطفه. وفعلا يعطي الكاتب وصفا احتفاليا للحدث عندما يصف الخطوات البروتوكولية التي تجري في مثل هذه المناسبة من الترحيب واستعراض حرس الشرف ثم الانطلاق إلى مكان ما. ويستمر الوصف التهكمي عندما يستخدم الكاتب استعارة في عبارة "الأعلام البريطانية والصينية ترفرف بتناغم" وكأن الأعلام أجنحة طيور ترفرف بسعادة وحبور، وتتأكد هذه الصورة

الرومانسية باستخدامه عبارة "هبات النسيم" في نهاية التقرير، وهذه الصورة الشاعرية تتناقض تماما مع عبارات "قائد العالم غير الحر" و"اعتقال المحتجين" الواردتين في العنوان. والسخرية هنا تأتي من أن الكاتب وضع طرفي الصورة المتناقضة في بداية تقريره ونهايته.

نستخلص من هذه التقارير الثلاثة أن أسلوب وصف الحدث يختلف من صحيفة إلى أخرى من ناحية الواقعية والدقة والموضوعية في الوصف، كما أن طريقة عرض الخبر والمبالغة في الوصف يظهر وجهة نظر وموقف الكاتب وبالتالي صحيفته تجاه الحدث، كما يعطي مؤشرا على نوعية الصحيفة التي نشر بها الخبر. فالصحف الغربية تقسم حسب نوعية الإخبار وطريقة عرضها إلى نوعين رئيسين: الأول ما يدعى بالصحف الصفراء Tabloid المعروفة بالتهويل في وصف وطريقة عرض الحدث ونوعية الأخبار التي تنشرها مثل صيحفة The Sun البريطانية؛ والثاني ما يعرف بالصحف الجادة broadsheet التي تنقل الإخبار المهمّة وتحول أن تكون أكثر موضوعية ودقة في وصف الحدث وأسلوب عرضه، مثل The Herald Tribune البريطانية. من هنا، فإن نظرة متأنية في التقارير الثلاثة أعلاه تفيد بأن التقريرين الأول والثالث قد نشرا في النوع الأول من الصحف، أما التقرير الثاني فقد ظهر في صحيفة جادة. فالتحيز الواضح في التقريرن الأول والثالث، واستخدام المفردات العامية أو الاستعارات في التقرير الثالث مقابل الوصف الأقرب للموضوعية (فالموضوعية أمر نسبي كما أسلفنا) يجعل تخميننا حول نوعية الصحيفة التي نشرت فيها التقارير صائبا إلى أبعد حد.

هل الأمر كذلك في الصحافة العربية؟ إذا كانت الاجابة بنعم، يمكن أن نخلص إلى أن التحيز ومجافاة الموضوعية في وصف الأحداث بصفة عامة هي ظاهرة ضحافية عالمية؟ لمعرفة الاجابة، نورد فيما يلي ثلاثة تقارير حول حدث واحد أيضا. لكن نظرا لطول التقارير، سنكتفي بتحليل عدد متساو من الفقرات من كل تقرير.

النص الأول

غزة: 7 قتلى بمهرجان إحياء ذكرى عرفات

يهوديّة إسرائيل تفجر المفاوضات. ومصر تتوقع فشل أنابوليس.

(مصدر الخبر واسم المراسل الصحفي)

قتل سبعة فلسطينيين على الأقل وأصيب مائة آخرون جراء إطلاق عناصر من الشرطة التابعة لحركة حماس النار على مهرجان حاشد نظمته حركة فتح أمس الاثنين في غزة لمناسبة الذكرى الثالثة لرحيل الرئيس ياسر عرفات.

واحتشد مئات الآلاف الفلسطينين في ساحة الكتيبة في غرب مدينة غزة وتدفق بحر من أعلام حركة فتح صفراء اللون على ميدان في غزة في أكبر تجمع لحركة فتح التي يتزعمها الرئيس الفلسطيني محمود عباس في غزة منذ أن سيطرت عليها حماس في أعقاب اقتتال داخلي بين الفصيلين في حزيران (يونيو).

ولكن الفوضى وقعت في الاجتماع الحاشد النادر لفتح بعد أن أطلقت نيران وتطورت إلى ما وصفتها

حماس بمعارك مع مقاتلي حركة فتح مما أرغم حتى الناس الذين بقوا في مكانهم في بادئ الأمر على الفرار بحثا عن مكان يحتمون به.

النص الثاني

مصرع 9 وإصابة أكثر من 100 في أعمال عنف خلال مهرجان لتأبين عرفات بغزة.

عريقات يرفض الاعتراف بإسرائيل على أساس ديني وباراك يعارض المطلب الفلسطيني بإزالة الحواجز الأمنية.

(مصدر الخبر واسم المراسل الصحفي)

لقي 9 أشخاص على الأقل مصرعهم وأصيب أكثر من 100 آخرين في أعمال عنف وتبادل لإطلاق النار في مهرجان حاشد شارك فيه مئات الآلاف لتأبين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، كما اعتقلت شرطة حكومة حركة حماس المُقالة نحو 125 شخصا.

وتفجرت أحداث العنف عندما قام متظاهرون من أنصار فتح برشق عناصر من الشرطة التابعة للحكومة المقالة بالحجارة في نهاية الاحتفال بذكرى وفاة «أبي عمار».

وقد بدا الغضب الشديد على أنصار فتح وقادتها في رام الله والضفة، ودعا بعض المتصلين على الموجة المفتوحة في تليفزيون فلسطين الرئيس إلى الانتقام من وزارة داخلية حماس على فعلتها هذه.

النص الثالث

التظاهرة الأكبر في غزة في ذكرى عرفات تتحول إلى مذبحة

عشرات القتلى والجرحى في «انتفاضة» فتحاوية ضد حماس.

(مصدر الخبر واسم المراسل الصحفي غير مذكور)

حولت حركة فتح هزيمتها الانتخابية أمام حركة حماس، في شتاء العام الماضي، وخروجها المذل من غزة في حزيران الماضي، إلى انتصار مدوّ أمس، عندما نظمت أكبر تظاهرة في القطاع إحياء للذكرى الثالثة لرحيل الرئيس ياسر عرفات، أظهرت هشاشة سيطرة حماس عليه، وانتهت بمذبحة قتل خلالها سبعة فلسطينيين وأصيب حوالي 130 برصاص الأجهزة الأمنية للحركة الإسلامية.

وكان حشد قدر بحوالي ربع مليون شخص، قد تجمع في ساحة «الكتيبة» غربي مدينة غزة حيث انتشرت الشرطة التابعة لحماس بكثافة. ورفع المتظاهرون صورا لعرفات وأعلامًا فلسطينية إضافة إلى رايات حركة فتح الصفراء، ورددوا «بالروح بالدم نفديك يا أبو عمار».

وحين بدأ الحشد بالتفرق إثر انتهاء المهرجان، انطلق الرصاص، فهرع المشاركون للاحتماء، بينما حدثت صدامات بين عناصر شرطة حماس وأعضاء فتح الذين أمطروهم بالحجارة، مما أدى إلى مقتل سبعة، عرف منهم أيوب أبو سمرا (19 عاما) ومحمد أحمد المصري (67 عاما) وإصابة حوالي 130 غالبيتهم من النساء والفتيان، وأربعة من الجرحى في حال خطيرة جدا بينهم إثنان في حالة موت سريري. واعتقلت خماس 27 عضوا في فتح شاركوا في الإعداد للمظاهرة، بينهم المسؤول السياسي في الحركة محمد النحال.

تظهر النصوص الثلاثة أيضا التباين الواضح في المواقف تجاه الحدث والتي تنبع من آراء وآيدولوجيات كتابها وتوجه الصحف التي ينتمون إليها. يظهر ذلك جليا في العناوين التي تلخص الحدث كما جرت العادة. فبينما نجد أن العنوان في النص الثاني أكبر حجما منه في التقريرن الآخرين، نجد أن عنوان التقرير الثالث الأصغر حجما. وللعلم، ظهر كل أو معظم العنوان في التقارير الثلاثة بالون تتوزع بين الأزرق والأحمر والأسود، لتمييز العنوان عن بقية النص وجذب اهتمام القارئ. هذا من ناحية الشكل، أما من ناحية المضمون، فإننا نجد أولا تباينا في عدد القتلى، فهم 7 حسب عنوان النص الأول، و9 حسب لثاني، بينما لا يعطى العنوان الثالث عددًا محددًا بل يشير إلى وقوع «عشرات القتلى والجرحى..» مما يوحي بأن عدد القتلى أكبر بكثير مما ورد في العنوانين السابقين. والغرض هنا إثارة تعاطف القارئ بالطريقة التي أرادها الكاتب. وهناك خبر آخر ضمن عنوان النصين الآخرين، ربما للفت نظر القارئ بأن لإسرائيل يد في إثارة تلك الفتنة! وكأن الكاتب يوحي ضمنا «أن ممارسات إسرائيل على الأرض ومواقفها من المفاوضات والمؤتمرات (كمؤتمر أنابوليس المزمع عقده آنذاك)، وإثارة مواضيع خارجة عن سياق ما اتفق على مناقشته لتحويل مسار التفاوض والقضية برمتها من استعادة شعب محتل لحقه في أرضه إلى فرضية جدلية (يهودية الدولة)». ويجب أن لا ننسى أن للفصيلين المتحاربين مواقف متباينة جدا من تلك القضايا، وبالتالي فمن السهل إثارة الفتن بينهما بين الحين والآخر.

ونلفت الانتباه هنا إلى أن انتقاء الألفاظ يلعب دورا كبيرا في تبيان نية الكاتب، والتي تنبع من آيدولوجياته المتجذرة لديه والتي تملي عليه اختياره لمفرداته واستراتيجياته في وصف الحدث بطريقة تحقق أغراضه. فمثلا، لم يرد في العنوان الأول ذكر جرحى الأحداث وذلك لتخفيف وطأة الخبر موضوع التقرير. وهذه إحدى الاستراتيجيات التي يستخدمها الكاتب عند الحديث عن نفسه ومجتمعه، كما يؤكد «فان دايك 1990». في المقابل، يذكر العنوانان الآخران عدد الجرحى التقريبي (أكثر من 100، عشرات القتلى والجرحى). واستخدام هذه الاستراتيجية الخاصة بأعداد القتلى والجرحى تتفق مع استراتيجية «التركيز على مساوئ الآخر»!

هناك اختلافات كبيرة بين النصوص الثلاثة أيضا في صياغة الخبر ووصف الحدث. يبدأ النصان الأول والثاني بفقرة تلخص الحدث، كما هي العادة في مثل هذا النمط من النصوص. لكن النص الثالث خالف هذه «القاعدة» حيث يبدأ الكاتب بأسلوب خطابي «مؤثر» بتلخيص وجهة نظره في ما حدث في قطاع غزة بعد الأحداث التي أدت إلى سيطرة حماس على السلطة. فالكاتب يبدو سعيدا وساخرا إلى حد ما بأن «تظاهرة فتح» تعيد إلى الأذهان قوة فتح وحجم التأييد الذي ما زالت تحظى به في القطاع رغم ما حدث، والذي حول «هزيمتها»، حسب الكاتب، إلى «انتصار مدوّ»؛ الأمر الذي يبين «هشاشة سيطرة حماس» في نظره. ويستمر الكاتب بإعلان موقفه الشخصي من الحدث الذي يصفه بأنه «مذبحة». وبدأ الكاتب بهذه الجزئية، التي تبدو وأنها تغريد خارج السرب، يريد أن يضعها في بؤرة تركيز القارئ. ويتابع الكاتب في الفقرة الثانية

التعبير عن موقفه «الفتحاوي» المتحيز عندما يقول أن فتح نجحت في حشد تظاهرة «ربع مليونية»، وها هي راياتها الصفراء تكاد تغطي سماء غزة، ويصف انتشار شرطة حماس ب «الكثيف» وتبدو هذه العبارة احتجاجا على شرطة حماس. وباستخدامه لعبارات مثل «عناصر شرطة حماس» و«أعضاء فتح» يعقد مقارنة بين عناصر مسلحة وآخرى مدنية غير مسلحة.

في المقابل، يلتزم كاتبا النصين الأول والثاني ببنية التقرير الإخباري حيث تلخص الفقرة الأولى في كل منهما الحدث رغم اختيار كل منهما لالفاظ تخدم غرضه. ويبدو تعاطف كاتب النص الأول مع حركة حماس من خلال تلخيصه لما حدث بجملة قصيرة بالمقارنة مع النص الثالث. أما كاتب النص الثاني فانه يلخص الحدث بشكل أكثر تفصيلا حيث إنه يحتوي على ما قامت به شرطة حماس، وهذا منطقي جدا لانه يلخص الحدث بدقة أكبر من النص الأول، الذي كما أوردنا يحاول كاتبه التخفيف ما أمكن من هول ما حدث. وهناك اختلاف بين النصين الأول والثاني أيضا في وصفهما لتفاصيل الحدث. فبينما تركز الفقرة الثانية في النص الأول على وصف التظاهرة وصفا مجردا، تركز الفقرة الثانية في النص الثاني على ذكر الأسباب التي كانت وراء تفجير الوضع. يبدو أن الكاتب هنا يحاول إيجاد بعض العذر بوصف ما قامت به شرطة حماس على أنه «رد فعل» على استفزاز بعض أنصار فتح الذين بادروا «برشق عناصر من الشرطة التابعة للحكومة المقالة بالحجارة في نهاية الاحتفال». يرد هذا الوصف في الفقرة الثالية في النص الأول، وكالعادة يظهر الكاتب تعاطفه المبطن مع حركة حماس، حيث لا يصفها بالحكومة المقالة كما هو الحال في النصين الآخرين، ويصف حشد أنصار حماس ب «النادر»، كما يصف ما حدث بأنه قتال بين مسلحين من الطرفين. وهنا يتابع الكاتب استخدام استراتيجية تلطيف الجو بدل مم صب الزيت على النار كما في النص الثالث. لو قارنا وصف النص الثالث لهذه الجزئية لوجدنا تعاطف الكاتب شبه المعلن مع حركة فتح من خلال وضعه اللوم بطريقة غير مباشرة على شرطة حماس التي، حسب وصفه، بدأت باطلاق النار على المتظاهرين بينما «بدأ الحشد بالتفرق إثر انتهاء المهرجان» وأن المشاركين «هرعوا للاحتماء»، أي أنهم «ضحايا»، وأفراد الشرطة هم «الجناة»! يعزز هذه الاستنتاج وصف الكاتب لحالة الجرحى والتفاصيل التي ساقها حول أعمارهم وجنسهم وأسماء بعضهم. يتصرف الكاتب هنا وكأنه شاهد عيان يسوق الأدلة المادية الدامغة اللازمة لإدانة الخصم (وهو حماس في هذه الحالة).

وبمقارنة التقارير الحالية في اللغتين نجد أن هناك تشابها كبيرا بينها من ناحية ندرة الموضوعية والدقة وكثرة شخصنة الخبر ليعكس وجهة نظر وموقف الكاتب أو الصحيفة من الحدث الذي يصفة التقرير الإخباري. كما أن هناك تشابها بينها في استخدام تكتيكات خطابية للوصول إلى الهدف الكامن وراء الخبر. فنحن أو من نؤيدهم الأخيار والآخرون هم الأشرار. وتنعكس هذه الآيدولوجية في استخدام أساليب لغوية تعتمد على اختيار مفردات محددة وتقديم عبارات وتأخير أخرى، وكذلك في التحكم ببنية النص بدءا من العنوان وانتهاء بآخر

كلمة في النص. كما بين التحليل أن بعض الكتاب قد يلجأ إلى استخدام استراتيجية تجعل بنية النص تخالف القاعدة. فبدلا من بدء النص بجملة افتتاحية تلخص الحدث، يبدأ كاتب النص الأنجليزي الأول بإفراد فقرة تتكون من جملة قصيرة لتسليط الضوء على ما يعتقده من أن زيارة الرئيس الصيني لبريطانيا تتسبب في أزمة للملكة، رغم أن بقية النص لا توحى بذلك. والشيء نفسه حدث في النص العربي الثالث الذي بدأه الكاتب بأسلوب خطابي يظهر ما حدث في غزة في أعقاب المهرجان التأبيني على أنه انتصار مجلجل لفتح، بدل التركيز على تلخيص الحدث المتمثل في ذكر عدد القتلى والجرحي كما هو الحال في النصين الآخرين. إن استخدام مثل هذه الاستراتيجيات يمليه الغرض الخطابي للكاتب والذي يعكس وجهة نظره وآيدولوجيته تجاه الحدث والمشاركين فيه.

وأخيرا وليس آخرا، يبين التحليل تشابها كبيرا بين اللغتين في استخدام أدوات الترقيم في هذا النمط من النصوص. وهذا مرتبط بنمط النص الصحفي الذي لا يحبذ الإكثار منها حتى لا تعيق القراءة التي عادة ما تكون سريعة. فمن المعروف أن مكان القراءة وطريقتها يؤثران في استخدام أدوات الترقيم. فمثلا، عادة ما نقرأ الصحيفة في أي مكان، أثناء انتظارنا لصديق أو وسيلة مواصلات، في الكافتيريا، أثناء مشاهدة التلفاز، إلخ. وعادة ما تكون قراءة النصوص الإخبارية سريعة، الأمر الذي يتطلب قلة أدوات الترقيم التي تؤدي كثرتها إلى إبطاء عملية القراءة وبالتالي إبطاء عملية تخزين المعلومات في الذهن. في المقابل، قراءة بحث علمي أو وثيقة قانونية تتطلب تأنيا وبالتالي بطئا يعين على الفهم الدقيق والتمحيص والتحليل. لكننا نجد كثرة الفواصل في الفقرة الأولى من النص العربي الثالث. وهذا ليس مستغربا، لأن هذه الفقرة تبدو وكأنها جزء من خطبة سردية وليست فقرة افتتاحية تلخص الحدث بشكل مقتضب، كما جرت العادة في مثل هذه النصوص.

كما تتشابه اللغتان في نوعية الجمل التي يفرضها نمط النص الصحفي الذي تكثر فيه الجمل المعقدة المكونة من جمل متداخلة تعبر كل جملة منها عن تفصيل يتعلق بزمان أو مكان الحدث أو المشاركين فيه. هذا مثال من النص الإنجليزي الأول.

- The trooper went into action الجملة الرئيسة

- when human rights protesters charged at her carriage جملة ظرفية فرعية.

- as she traveled towards Buckingham Palace with the Chinese president جملة ظرفية فرعية.

ومن النصوص العربية، تتكون الجملة الأولى في النص الثالث من جملة رئيسة وجمل أخرى متداخلة، كما يلي:

–حولت حركة فتح هزيمتها الانتخابية أمام حركة حماس، في شتاء العام الماضي، إلى انتصار مدو أمس (الجملة الرئيسة).

– عندما نظمت أكبر تظاهرة في القطاع إحياءً للذكرى الثالثة لرحيل الرئيس ياسر عرفات (جملة ظرفية فرعية).

- أظهرت هشاشة سيطرة حماس عليه (جملة صلة الموصول- فرعية)

- وانتهت بمذبحة قتل خلالها سبعة فلسطينيين وأصيب حوالي 130 برصاص الاجهزة الامنية للحركة الإسلامية (جملتان فرعيتان- تشكلان جملة مركبة داخل جملة صلة الموصول).

يظهر من هاتين الجملتين فرقا معروفا بين اللغتين، وهو كثرة التراكيب المتوازية parallel structures التي تربطها في الغالب "و" في العربية بشكل عام. وتتيح هذه التراكيب للكاتب والمتحدث عرض أكبر قدر من التفاصيل عدا عن خلقها لنوع من الموسيقى الداخلية التي تتميز بها اللغة العربية أكثر من سواها من اللغات. طبعا تسمح اللغة الإنجليزية باستخدام التراكيب المتوازية، لكن هذا مرتبط بنمط النص، فنجدها مثلا أكثر شيوعا في النصوص القصصية، والخطابات التي يقصد بها التأثير على القارئ أو المستمع. لكن استخدامها يندر في النصوص العلمية والصحفية، إلخ.

الخلاصة:

نخلص من هذا التحليل المقتضب إلى أن التقارير الإخبارية في اللغتين العربية والإنجليزية تتشابه إلى حد كبير في كونها تميل إلى التحيز في نقل ووصف الخبر، كما أن كتاب ومحرري الأخبار يتستخدمون تراكيب لغوية وأساليب واستراتيجيات خطابية متشابهة إلى حد كبير في التعبير عن ذلك التحيز. لكن يجب الا يعني هذا بالضرورة أن كل التقارير الإخبارية تجافي الموضوعية تماما، لكن مثل تلك التقارير ربما تكون أقل بكثير من تلك التي تتسم بالتحيز. وفي ضوء التحليل الحالي نخلص إلى القول أن غالبية التقارير الحالية تميل إلى التحيز وشخصنة الأحداث التي تعكس وجهة نظر أصحابها، وتتبع في ذلك أساليب لغوية وأسلوبية وخطابية متعددة.

وجدير بالذكر أن المادة الصحفية توفر مجالا خصبا لطلاب الإعلام بصفة خاصة وطلاب اللغات بصفة عامة وذلك لتنوع المقالات التي تمثل أنماطا خطابية مختلفة (التقرير الإخباري، كلمة العدد/ التحرير editorial، والمقالات التي تناقش قضايا اجتماعية واقتصادية وأدبية وثقافية عامة ورياضية، وإعلانات، إلخ.) التي جعلت بعض اللغويين يدعون إلى أهمية تدريس النصوص الصحفية لطلاب اللغة بشكل خاص (Bhatia 1993). فمن ناحية، عادة ما يكون التقرير أو المقال الصحفي حول موضوع أو قضية ساخنة وحديثة يفترض أن تثير اهتمام القارئ (الطالب في هذه الحالة)، ولديه، في الغالب، خلفية معرفية أو تصورات ذهنية حولها، الأمر الذي يسهل قراءتها واستيعابها. كما أن لغة النصوص الصحفية لغة قريبة سهلة القراءة وبالتالي سهلة الفهم. هذا بالإضافة إلى أن تلك النصوص عادة ما تزخر بالاستخدامات المجازية الشائعة في لغة التخاطب اليومي. ومن خلال تحليل النصوص التي تتناول حدثا واحدا، يمكن أن نثير انتباه الطالب لكيفية استخدام استراتيجيات لغوية وخطابية متنوعة في التعبير عما يجرى من حولنا. كما يمكن أن يؤدي تعريض الطالب لأنماط متنوعة من النصوص الصحفية في لغات مختلفة إلى تعريفه بآيديولوجيات واستراتيجيات خطابية وفكرية تمكنه

من معرفة الآخر وبالتالي التعامل معه بشكل أفضل. إذا، يمكن للنصوص الصحفية أن تنمي في الطالب مهارات القراءة والاستيعاب والتعبير اللغوي والتسلح باستراتيجيات أسلوبية وخطابية يمكنه استخدامها في سياقات اجتماعية-ثقافية مختلفة، وليس فقط حشو عقله بقواعد صماء لا يجد بدا من حفظها عن ظهر قلب وترديدها دون معرفة بكيفية استخدامها في التعبير عن مشاعره وحاجاته اليومية، كما هو الحال في الدرس اللغوي التقليدي.

يبقى أن نقر أن تحليل عدد أكبر من التقارير الإخبارية في اللغتين سيكون ذا فائدة عظيمة ليس فقط لتعزيز أو تفنيد نتائج هذه الدراسة بل لتسليط الضوء على مناح لم يتم تناولها في هذه المباحثة أيضًا. كما يحبذ من الباحثين أن يتناولوا بالتحليل والتمحيص أنماطا أخرى من النصوص الصحفية. فمثلا يظهر موضوع التحيز أكثر جلاء في كلمة التحرير التي تتناول قضية مصيرية ساخنة.

References

Bell, A. (1991) The Language of News Media. Oxford: Blackwell.

Bell, A. and Garrett, P. (2001) 'Media and discourse: a critical overview', in Allen Bell and Peter Garrett (eds.) Approaches to Media Discourse. Oxford: Blackwell, pp. 1-20.

Benveniste, E. (1971) Problems in General Linguistics. Florida: University of Miami Press.

Brown, G. and Yule, G. (1983) Discourse Analysis. Cambridge: Cambridge University Press.

Candlin, C. N. (1997) 'General editor's preface', in Gunnarsson, B. L. Linell, P. and

Nordberg, B. (eds.) The Construction of Professional Discourse. London: Longman, ix-xiv.

Chesire, J. and Moser, L. (1994) 'English as a cultural symbol: the case of advertisement in French-speaking Switzerland', Journal of Multilingual and Multicultural Development, 15, 451-69.

Coupland, N. (1985) 'Hark, hark the hark: social motivations for phonological style Shifting'. Language and Communication, 5, 153-71.

De Beaugrande, R. (1980) Text, Discourse and Process. London: Longman.

Fasold, R. (1990) Sociolinguistics of Language. Oxford: Blackwell.

Fairclough, N. (1992) Discourse and Social Change. Cambridge: Polity Press.

Fowler, R. (1991) Language in the News: Discourse and Ideology in the Press. London: Routledge.

Foucalt, M. (1984) The order of discourse. In Michael Shapiro (ed.), Language and Politics. Oxford: Blackwell, 108-38.

Halliday, M.A.K and Hasan, R. (1976) Cohesion in English. London: Longman.

Kress, G. and Hodge, R. (1979) Language as Ideology. London: Routledge and Kegan Paul.

Lee, D. (1992) Competing Discourses. London: Longman.

Mills, S. (1977) Discourse. London: Routledge.

Stubbs, M. (1983) Discourse Analysis. Chicago: University of Chicago Press.

Van Dijk, T. A. (1991) Racism and the Press. London: Routledge.

_____ (2001) 'Opinions and ideologies in the press'. In Allen Bell and Peter Garrett (eds.) Approaches to Media Discourse. Oxford: Blackwell.

Websites

Media Awareness Network: How to Detect Bias in the New. Http://media–awareness.ca

Rhetorica (2007) Media/ Political Bias. http://Rhtorica.net/bias.htm

Times Online. BBC report damns its 'culture of bias'. http://timesonline.co.uk